خواطر تاريخية

عدنان محمد

بغداد.. النشاط الاقتصادي

وما إقامة المشاريع.. التي تم ذكرها على جانبي النهر وبتلك الاعداد الكثيرة، وما المدافن أو بعض الشواهد في تلك الفترة الاخير دليل على مدى التوسع، اذ اصبح الجانب الشرقي ذا اهمية اقتصادية ومعاشية بعد ان كان الغرض من اقامته في بادئ الامر غير تجاري. ولما زادت حركة التجار وازدهر الاقتصاد تبعا لذلك برزت الحاجة الى انشاء خانات، ومنها ايواء الوافدين والتجار وما يستقرأ فإن أسلوب البيع والشراء وتحصيل الاثمان في بعض الحالات كان يتم بطريقة بيع المنتج في الاسواق أو تفريقه بأسلوب البيع المباشر المستحصل او المالي المؤجل وكان على التاجر ان يمكث بعض الوقت، لطول المسافات انذاك وما يتطلبه السفر من جهد، ودليل اخر على مدى التطور العمراني هو انشاء تلك الخانات وقد كانت الخانات تتصف بمواصفات مريحة ومرفهة حيث وسائل الخدمة والراحة والأمان.

وبالرجوع الى اقامة المشارع وهي جمع مشرعة حيث اقيمت على جانبي النهر بعدد متساو تزحف قليلا بالتناظر ولكن كل مشرعة في هذا الجانب من النهر ما يقابلها في ذاك الجانب من النهر وما كثرة عدد هذه المشارع والعبرانيات التي تنقل الناس الا دليلا على مدى التطور الاقتصادي الذي كانت تمر به المدينة في القرون السابقة حيث ان اسلوب نقل البضائع وسرعة ايصالها الى مستهلكيها هو أسلوب تتبعه أحدث المدن تطورا، فها هم البغداديون اعتمدوا أسلوب المحطات النقلية المائية ويدلل هذا على مدى الازدهار الاقتصادي والسلعي بين الجانبين وأما الترع التي كانت تتفرع من هذه الممرات المائية الرئيسة فهي بمثابة الفروع الموصلة الى الاماكن الضيقة. بالأضافة الى إقامة بعض الجسور، وكان ازدياد الحاجة بين الناس ادى الى اقامة كل ذلك.. ولو القى المتتبع نظرة على الجانب الشرقي لوجد أن هذا الجانب كان عامرا بسكن الناس وإقامة المحال في القرن الثاني الهجري إذ كان ذلك على درجة من التنظيم تصل حد الائتمان على الامانات وايداعها في اماكن مخصصة، فقد اقترن انشاء تلك المنشآت والجادات والمواصلات بتشييد عمراني طال الجانبين الاقتصادي والسكاني حيث ازدياد السكان باضطراد متناغما مع ذلك التطور بكافة صوره، وهذا الازدياد ناجم عن الهجرة التي حصلت من خارج المدينة اليها.. طلبا لرفاهية العيش.. وقد ذكر بعض المؤرخين عدد سكان بغداد بحيث انهم ومن المعتقد انه كان رقما مبالغا فيه ولكن ما وصل من بعض الكتب المعتمدة في تحليل وسرد الحادثة التاريخية أن عدد سكان بغداد في زمن هارون الرشيد لم يتجاوز النصف مليون نسمة وهذا اقرب الى الواقع.. من حيث الربط بين اضطراد السكان منذ ذلك الزمن الى القرن الرابع الهجري حيث يذكر ان السكان ارتفع عددهم الى ما يتجاوز المليون.. وتذكر لنا ايضا بعض كتب التاريخ ان شوارع بغداد كانت منتظمة بدرجة مدروسة بحيث ان السلع وصنوف التجارة تباع في مناطق معينة فلا يختلط صنف بصنف وأما الحرف فكان في كل قطع حرفة اي انك ترى قطعا للحدادين وقطعا للباعة وقطعا للمهرة وهكذا. وأن تاثير الحرف والمهن وما وصلت اليه المدينة من تطور اقتصادي أدى ذلك الى ان بعض الانهر تسمى باسماء المهنة او الشيء المباع مثل نهر الدجاج والذي كان في جانب بغداد القريبة فقد سمي بهذا الاسم لان اصحاب الدجاج كانو يبتاعون عنده الدجاج ومنتجاته، واما الحوانيت فلا تنقطع في وقت من الوقات، واما الآبار فكانت مياهها عذبة.. وجيء بالنخيل من البصرة والكوفة وغرس في ارضها وكان كل قسم او ربض او محلة تستقطب الصناع والمهرة والكسبة لما آلت اليه حالة المدينة من ازدهار بحيث ان البساتين كثرت وهذا أمر طبيعي لوفرة المياه.

الأسرة نبض الإنسانية

نبيل ياقو الكوماني

ان الشراكة بين الرجل والمرأة لتكوين وحدة وكيان واحد قيمة انسانية عليا ويحاول كل واحد منهما "بطبيعته" ان يظهر جنسه وتميزه "ذكر- أنثى" كما هو، ليعيش حياة اخرى جديدة على أساس الإتحاد المصيري المشترك، لكي يعيدوا صورة المرأة والرجل في الأبناء.

هذا التلاحم تعرفه البشرية "الأسرة"، من اجل التناسل والحفاظ على النسل البشري من الزوال، إضافة الى إشباع الرغبة بالأبوة الموجودة لدى الرجل، والأمومة المتأصلة في المرأة. هذان الخياران لكليهما يجتمع بمكان وزمان كسلوك انساني رائع وراق لعيش حياة مشتركة.. في كل زمان ايام الحزن وايام الفرح عبر الحياة الطويلة القصيرة الأمد في آن معا.

هذا الاتحاد يولد نوع من أواصر الوحدة في الوجود فيها الكثير من التضحية والقليل من الأنانية التي يتمتع بها الانسان.. بمعنى آخر خلق حياة جديدة يكون فيها العنصر الرجولي والأنثوي واحدا متوحدا، على الصعيد الروحي والجسدي غايته حياة خاصة مشتركة وانجاب ابناء وخلق وجود من نوع جميل وسعادة انسانية يطمح اليها أي كائن بشري، مع إظهار وتأكيد الرجولة والأنوثة التي تحترم.

المجتمعات البشرية متألفة من مجموعات انسانية على اختلاف تنوعها وأعراقها وانتماءاتها واديانها وكلها تشترك بالوجود والتكامل والأصالة البشرية، وكلها تجمعها أهداف سامية لخلق أفراد يعون انتماءهم الأخلاقي والأدبي والانساني والمصيري لهذه الحياة.. ويؤمن الجميع ان الزواج يمثل صورة جميلة للطبيعة الموجودة في الفرد الانساني، وحب الاندماج والتمازج بين الرجل والمرأة.. ما يخلق حبا من نوع خاص يتفرع منه محبات متشكلة في موزائيك رائع بدءا من المحبة بين المرء وزوجته، وما يتبعه من العلاقة الحميمة بين الوالدين وما ينعكس على الأبناء والحب المتبادل الناشئ بينهم وتبادل المحبة بين الأبناء والوالدين.

ان الشخصية الانسانية تتوضح معالمها في الأسرة، وارهاصاتها وملامح تكوينها هي مرآة للتكوين الفردي وسط العائلة ومدى تأثره بالأبوين بل حتى بنوع العلاقة التي بين الأبوين تكون بادية على الحضور الشخصي للأفراد في المجتمع.

وهناك جانب آخر هو الجانب الاخلاقي.. دون ان نقلل من جوانب اخرى كالأدبي والثقافي والديني.. المتنامي في داخل الفرد، لا يمكن إلا ان يكون منبعه الأسرة وبالأخص الوالدين كونهما قدوة ومثلا اعلى نهل منهما مذ كان صغيرا حتى كبر وأمسى جزءا من الوجود والمجتمع والحياة.

ان هوية الذكر والانثى هي الاخرى تكون مرتكزة على ما تعلماه من المواقف التي مرت بالرجل وامرأته وعلاقتهما الخاصة وما تعلماه من المجتمع بهذا الخصوص، فكل بذرة تنمو وسط العائلة اولا وبعدها يأتي دور المجتمع لتحقيق البلوغ المتوازن كشجرة تسقى ماءا عذبا والعكس يكون اذا ما كان المجتمع فيه الكثير من الأفكار المتخلفة تجاه دور الرجل والمرأة وكيفية العلاقة بينهما.. فالشجرة بالتأكيد ستكون ثمارها علقما، ليس على الأبناء الذين تربوا في تلك العائلة او المجتمع الذي ينظر للرجل كونه سيد العالم والمرأة خادمته.. إنما ستظهر هذه الأفكار السيئة بعد ان يتولى الأبناء مسؤولية عائلة عندما يكبرون ويُنشئون علاقة زواج ويبنون أسرهم بالأساس مرتكزين على ثقافة ضعيفة وتربوا على أسس أمست نقشا على حجر.

ما أود قوله ان بناء مجتمع سليم يتطلب بناء أفراد سليمي الفكر وهي مسؤولية الأبوين بدرجة اكبر من مسؤولية المجتمع. المجتمع خليط من الثقافات الخاصة وغيرها، فإذا أراد الأبوان خلق انسان واع ومثقف فعليهم ان يبدؤوا مع ذواتهم لتكون في المستقبل بذارا لأبنائهم بالتأكيد سيأكل ثمارها أولادهم وبعدها سيكون المجتمع خير مكان لظهور هذه الشخصيات المرتكزة على شخصية قوية تنظر لكل الأمور بعين القوة والتحليل والنظرة الرائعة تجاه دور الرجل ودور المرأة في المجتمع، ومدى الشراكة القوية بين أبنائه لعيش حياة مصيرية مشتركة.. الخ لخلق مجتمع حضاري واع ومتمدن.

المجتمع ايضا عليه مسؤولية جسيمة للنهوض بالأسرة لتقوم بدورها في تكوين الأفراد على أسس سليمة واضعة السلم الانساني في قمة أولوياتها بعد الدين كي ينمو في جو يُمكنه من النظر نحو المستقبل بعين واعية ومضيئة وحريصة على ذاته ومجتمعه ووطنه.. عين ترى في المبادئ أساس الوجود وعين اخرى ترى في الاختلاف الجنسي ضرورة حياتية وحرية لا تقاوم ولا يعلو عليها أي مبدأ آخر.

المجالس البلدية

خلايا نحل لا تكل من العمل

بهاء البير

أن الواقع الذي يمر به وطننا الحبيب من تقلبات سياسية وأوضاع أمنية غير مستقرة والمستوى الأقتصادي المتذبذب وأمور أخرى كثيرة تقع كلها على كاهل المواطن وأعباء يعاني منها المجتمع العراقي عموما وخدمات مشروعة يطالب بها كل فرد من أفراد الشعب العراقي، فمهما فعلت الوزارات من سن قوانين وأعلان عن مشاريع خدمية واقتصادية تصب في مصلحة المواطن.. الا ان المواطن يطالب دائما بتحقيق المشاريع والمنجزات على أرض الواقع فأن معاناة الشعب العراقي لعقود مضت من تردي الأوضاع المعيشية والخدمية وبالأخص في الخمس سنوات الماضية لا يتحمل الصبر والتأجيل بذريعة سوء الوضع الأمني وبالأخص في العاصمة بغداد.. وهنا يظهر ويبرز دور مجالس البلدية المنتخبة من قبل المناطق الممثلة لها بمطالبة الوزارات بأنجاز المشاريع التي تحتاجها المناطق والساكنين فيها والمشاركة في أعطاء الأولوية للخدمات المراد توفيرها واعطاء الرأي في مواصفات المواد المستخدمة في أنجاز الأعمال وجودتها.. ولكن أيضا على المواطن أن لا ينسى دوره بمراقبة مجالس البلدية ومدى أهتمامهم بالمناطق الممثلة لها ومحاسبة المقصر وأبدال السيء بالأكفأ والمهتم بمصلحة الفرد العراقي.

وللدخول في بعض تفاصيل عمل مجالس البلدية جاءت زيارتي لمجلس بلدية حي الوحدة في قاطع الكرادة الشرقية ورأيت هناك خلية نحل لا تكل من العمل لخدمة المواطنين ومتابعة أنجاز الأعمال في المناطق السكنية والأهتمام المخلص بهموم المواطن والمرافق الموجودة في المنطقة من مدارس ومستشفيات ومحطات وقود وغيرها والنظر بشكاويهم عبر اللجان المختلفة والتي تتمثل في لجنة الخدمات ولجنة الأعلام واللجنة الامنية وغيرها.. وعند الأستفسار عن مدى تعاون الوزارات والحكومة مع مجالس البلدية أجاب السيد "حسين نجم" مسؤول اللجنة الخدمية في المجلس المذكور: أن هناك نفس واضح لأعطاء صلاحيات أوسع للمجالس البلدية للقيام بأعمالها في المناطق المناطة اليها. لأن في أعتقادي ومن المنطق أن المجالس البلدية المنتخبة أعضائها من سكنة تلك المناطق وهي ادرى بما تحتاجه كل منطقة وكل زقاق وشارع فيها.

ويضيف السيد "حسين": بأننا لسنا بجهة فنية للتدخل في أنجاز المشاريع الخدمية ولكننا نبحث على النتائج وجودة انجازها ومواصفات المواد المستخدمة بالمشاورة مع الجهات والشركات المنفذة ونطالب بأعطائنا صلاحيات بالموافقة على المشاريع والمواصفات المستخدمة في أنجازها.

ومن هنا أرى أن الوطن بحاجة الى أعطاء هذه الصلاحيات لمثل هذه الفئات المخلصة والباحثة عن مصلحة الوطن بالدرجة الأولى ونتوسم أن تكون باقي المجالس والمؤسسات والمنظمات تصب كلها في مصلحة المواطن الذي ناله التعب والارهاق والذي يحلم أن يعيش كباقي شعوب العالم المتحضر متنعما بثروات بلده والتي ما أكثرها في وطننا العزيز.

وللشهرة ثمن

عصام شابا فلفل

قد يتصور البعض حين يقرأ عنوان المقال بأننا نتكلم عن شخص معين اشتهر لحالة معينة سواء كان على مستوى الفن او السياسة او الرياضة او اي مجال اخر، ودفع لأجل ذلك ثمنا باهضا.. ولكن الموضوع برمته خارج عن نطاق هذا الافتراض، بل بعكسه تماما، لأن الثمن الباهض والمدفوع سلفا كان اساسا للشهرة..

هذا ما حصل لقرية تللسقف، تلك القرية الامنة التي تسكنها اكثر من الف وخمسمئة عائلة كلدواشورية.. تلك القرية التي تبعد بما يقرب من ٣٠ كيلومترا شمال شرق مدينة الموصل. كيف لا.. وهذه القرية الامنة التي لم يكن يعلم بوجودها على خارطة الارض الأغلبية الغالبة من العالم، اصبحت فجأة مشهورة جدا ومن خلال الفضائيات ووسائل الاعلام العراقية والعربية والعالمية أيضا. نعم اشتهرت فجأة ودون مقدمات، ولكن كيف حصل ذلك.. إذ طالتها يد الموت في ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٧ وذلك عن طريق تفجير انتحاري بسيارة مفخخة ذهب ضحيته العديد من الشهداء الابرياء وعشرات الجرحى والغالبية العظمى منهم من اطفال روضة الزنابق العائدة لدير الراهبات اضافة الي تهديم العديد من المنازل وتحطيم المحال التجارية، والاهم من هذا كله هو تحطيم الحالة النفسية للإنسان في هذه القرية الجريحة.. تصورنا حينها بان الحالة هذه لن تعود مرة اخرى بل انها ربما حدثت خطأ او دون تعمد.. ولكن هذا التصور قد تبدد كليا صباح يوم الخميس ٨/ ١١/ ٢٠٠٧ أي بعد مرور نحو ستة اشهر على التفجير السابق، اذ هز القرية الامنة تفجير انتحاري اخر بشاحنة مفخخة وفي نفس المنطقة التي حدث فيها الانفجار الاول.. ولنتصور ما الذي حصل في هذا الانفجار..؟.

استشهدت ارملة فقيرة في الستين من العمر تعمل موظفة خدمة في احدى رياض الاطفال اضافة الى العديد من الجرحى، وهنا كانت الخسائر المادية اكثر بكثير من التفجير السابق، ولكن ماذا عن الحالة النفسية للمواطنين في المنطقة؟.. سؤال لا اعتقد بان الاجابة عليه صعبة.. اذ ان تلكم الاجابة تكمن في ضمير كل شريف، ترى لماذا تستهدف هذه القرية الامنة دون جميع القرى والمدن في منطقة سهل نينوى؟.. لماذا تستهدف منطقة تعتبر سوقا تجارية ومحطة اقتصادية للعديد من القرى والارياف التي تسكنها طوائف كلدواشورية وعربية، مسيحية ومسلمة وايزيدية؟.. ما الذي يميز تللسقف عن باقي المناطق لتستهدف بالتفجيرات الاخيرة؟.. هل هو موقعها الجغرافي الستراتيجي الذي يتوسط المسافة بين عشرات القرى؟.. ام الهدف هو سكانها الامنون المسالمون والذين يشهد تاريخهم الطويل بدماثتهم وحسن اخلاقهم وتعاملهم الطيب مع جيرانهم العرب والايزديين؟..

هل الهدف هو ترهيب اهلها واهل سهل نينوى عامة لتركها والهجرة الى بلدان اخرى ليخلو الجو والمكان للمتربصين والذين يحاولون وبشتى الطرق السيطرة على هذه القرية الامنة؟.. ولماذا كل هذه الاستماتة من اجل تللسقف خاصة وسهل نينوى عامة دون غيرها من المناطق؟.. ان تللسقف لن تكون إلا لأهلها ولا يمكن لأحد مهما كان من التواضع ان يقول غير هذا.. اذن لتكن النية صافية تجاه اهلها وليعلم الذين يحاولون ايذاء هذه البقعة من الارض، ان هذه القرية عصية عليهم ولن يحصلوا على مبتغاهم ان ظل فينا عرق ينبض، بل سينتفض حتى الحجر ان مسها سوء وحينها لن يكون الغادرون الا الخاسرين، ولن يكون للخائن مكان في حضن أمنا تللسقف بل سيكون مكانهم فعلا في مزبلة التاريخ وحينها لن ينفعهم مالهم ما لم يصحوا ضميرهم يوما، وذلك نعتقده عنهم بعيد.

مملكة ميشان الآرامية

مملكة ميشان الآرامية
مملكة ميشان الآرامية

أ. فؤاد يوسف قزانجي

عندما عاد الاسكندر المقدوني منتصرا بعد ان استولى على بلاد فارس والهند، وصل أرضا قرب ملتقى نهر الكرخا مع نهر دجلة، وقرر إنشاء مدينة في تلك المنطقة باسم خاراكس Charax وذلك في عام "٣٢٤ق.م" وذكر ان المدينة اطلق عليها الاسكندرية نسبة الى اسم الملك، ووردت بعد ذلك في المصادر اليونانية والرومانية باسم خاراسين أو كاراسين Charassene. وقد بنيت على مرتفع اصطناعي يبلغ عرضه ثلاث كيلومترات لأن أرضها كانت منخفضة قليلا وكي تتقي أرضها شر فيضان نهر الكرخا. وكان الأمبراطور الاسكندر يخطط آنذاك للعودة اليها بعد ان يبني أسطولا وميناءا في بابل لكي يستأنف فتوحاته بعد حين متوجها نحو بلاد العرب Arabia.

وقد خربت خاراسين مرارا بفعل فيضانات نهر الكرخا والجداول التي تحيط به، فما كان من الملك السلوقي انتيوخس الرابع ان أعاد بناءها وأسماها انطاكيا على اسمه، لكن هذا الأسم يبدو انه لم يؤبه له (١).

كان سكان تلك المدينة والمنطقة المحيطة بها يتألفون من الأقوام الآرامية والبابلية- الكلدية وهم بقايا مملكة القطر البحري البابلية التي زالت بعد سقوط الأمبراطورية البابلية- الكلدية عام "٥٣٩ق.م" (٢)، وأضيف الى سكان المدينة حامية يونانية كانت قد نقلت من مدينة دورا- يوربس. وبنى جيش الاسكندر بناءا على نهر الفرات باسم ابولوكوس على أنقاض ميناء آشوري قديم يدعى "ابولوم" وكان الميناء الآشوري قد أقيم في زمن الملك تكلات فلاصر الثالث "٧٤٥-٧٢٤ق.م" وقد عثرت احدى بعثات التنقيب في ارض الميناء على قبور ولقى تعود الى تلك الفترة.

وقد اشتهر الميناء في زمن مملكة ميشان لنشاطه التجاري بنقل البضائع والأشخاص بين بابل والخليج. وبعد انتشار المسيحية كان أسقف المدينة يدعى "اوتانيوس". سميت المدينة بعد الفتح الاسلامي أبلا وابلةَ ثم الأبلةَ التي ظلت عامرة حتى القرن الثامن "الثاني الهجري" ينسب اليها الفقيه مالك بن انس. وهي حاليا قرية "كوت الزين" الواقعة الى الجنوب من مدينة الخصيب القريبة من رأس الخليج العربي. ان أول حاكم عيّنه الأغريق على خارسين وما حولها، كان "بيتكاوس" وهو احد شيوخ الآراميين ثم تبعه "تومينوس" الذي شن حملة برية- بحرية سار بها على طول ساحل كارامانية "كرمان" في الأراضي الفارسية مع أسطول يرافقه في الخليج وذلك لتأمين خطوط النقل والتجارة للأمبراطورية اليونانية. وفي تلك الفترة نشأت مدينة اخرى في شرق الفرات معظم سكانها من الآراميين ومنها أقوام فارسية وعربية سميت برات- ميشان أو فرات- ميشان، وتعني ميشان بالآرامية "المدينة المسورة" وتدريجيا أطلق على المنطقة الممتدة حاليا من خاراسين "أي المحمرة" وحتى خليج البصرة ومنطقة البصرة. في عهد الملك انتيوخس الرابع، تم إعمار مدينة خاراسين وذلك في عام "١٦٥ق.م" وعين عليها ملكا من أمراء ميشان سمّي في المصادر اليونانية "هباوسينس" الذي سمّى مملكته ميشان منذ ذلك الحين. وبعد زوال النفوذ الاغريقي ومجيء الفرثيين لبلاد الرافدين، أعلن الملك هباوسينس استقلاله في ميشان على الرغم من ان النقود التي كان يسكها في مملكته تحمل على وجه صورته وعلى الوجه الاخر أحد الملوك الفرثيين بدلا من الملوك الاغريق. ويبدو ان هذا الملك الكلدي الأصل كان يحنّ الى بابل فقام بزيارة مدينة بابل، وقدم الأضاحي الى بعل "مردوخ". كما كان قد عيّن مستشارا له أحد العلماء البابليين المسمى "ايتي- مردوخ- بلاتو" الذي أعتبر من كبار الموظفين في البلاط الميشاني، وفي هذه الفترة سميت مدينة خاراسين باسم كرخا. ويبدو في فترة ضعف الفرثيين وانتقال عاصمتهم من بابل الى طيسفون شمالا، وجدها الملك هباوسينس فرصة للتقدم بجيشه والاستيلاء على جنوب العراق وعلى مدينة بابل بعد القضاء على المقاومة الفرثية، واعلن نفسه ملكا على بلاد بابل التي كانت تشمل جنوب العراق وتضم مدنا آهلة بالسكان مثل ينبور واوروك واور وغيرها. وكانت سيطرته على بابل وجنوب العراق فترة قصيرة على الأرجح بين الأعوام "١١٨-١٠٩ق.م" على الرغم من ان بابل أمست آنذاك مدينة صغيرة أهم ما فيها قصورها ومعابدها الدينية الفخمة وزقورتها العالية (٣). كما قام ملك ميشان الخامس المسمى "اورادس" بتحرير مدينة بابل مرة ثانية وذلك في عام "٨٠ ق.م" وظهرت أول نقود باسمه بين العامين "٧٨-٧٧ ق.م". وفي هذه الفترة تطورت العلاقات التجارية والاقتصادية بين مملكة ميشان ومملكة تدمر لا سيما ان لغتيهما كانتا واحدة وهي الآرامية، وكانت ميشان مركزا من مراكز التجارة بين الهند والشرق الأدنى وكان لها علاقات سياسية واقتصادية مع مملكة حدياب الآرامية التي ساد عليها في فترة بين ٤٠-٦٠م ملك يهودي يدعى ايزات Ezzat وكذلك مع مملكة حاطرا "الحضر" التي كانت تشاركها النشاط الاقتصادي والعبادات واللغة. وتتحدث المصادر عن وجود جالية تدمرية في خاراسين او كرخا لها رئيسها الذي ينتخبه أفراد الجالية ولها معبدها الخاص بها يتعبدون فيه الى آلهتهم. كما كانت ميشان على علاقة تجارية قوية مع الأنباط "شرقي الأردن". وأصبحت ميشان المركز الرئيس لتحميل وتفريغ البضائع القادمة من الهند وماكان ودلمون وملوخا. واستمرت هذه المملكة مستقلة ذاتيا وتحكم نفسها حتى اوائل القرن الثالث للميلاد وبالضبط حتى عام "٢٢٤م" حينما زحف الملك الساساني اردشير على مملكة ميشان واستولى عليها بعد حصار. واطلق اردشير اسم "استراباد- اردشير" على مدينة كرخا واسم "بهمان- اردشير" على مدينة فرات- ميشان. وقد ضعفت اهمية المدينتين بسبب سيطرة الساسانيين على خطوط التجارة (٤). وفي تلك الفترة بدأت المسيحية بالإنتشار في منطقة ميشان فكان هناك ابرشيات وكنائس في كدينة فرات ميشان وفي بيت قطرايا "قطر" أوضحها المطران ايشوعدناح في كتابه "الديورة في بلاد العرب وفارس" الذي كتبه في البصرة بعد انتقاله من فرات ميشان اليها عام "٨٦٠م" (٥).

كانت المسيحية قد انتشرت في منطقة ميشان، وكان المسيحيون في معظمهم من الطائفة النسطورية كما شاعت بينهم اللغة السريانية، وكانت فرات ميشان قد ازدهرت في القرن السادس للميلاد وتوسعت حتى أصبحت تضم أربعة أبرشيات ناشطة منها أبرشية في بيت لافاط "جنديسابور" وأبرشية في بيت قطرايا "قطر". وظلت العلاقة قائمة بين مركز المسيحية في سلوقية- طيسفون وبين فرات ميشان حتى نهاية القرن السابع للميلاد. اما بلدة ابيلا فقد سميت بعد الفتح الاسلامي "الأبلة"، "وهي البلدة التي كانت على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل على البصرة كما وصفت بأنها أقدم من البصرة وكانت لها مسالح للفرس" (٦). وكانت مدينة فرات ميشان قد فقدت أهميتها بعد الفتح الاسلامي وتأسيس مدينة البصرة كمركز عربي في جنوب العراق وهي المدينة التي أقيمت في عام ٦٣٦م، وظلت مدينة الفرات قائمة حتى نهاية القرن التاسع للميلاد. وكان المطران ايشو عدناح قد انتقل من فرات ميشان الى البصرة في منتصف القرن التاسع حينما ألف كتابه الشهير عن الأديرة والمسيحية الذي ذكرناه وذلك في عام ٨٦٠م وأسس أبرشيته في البصرة. وكانت هناك بلدة اخرى قرب البصرة هي بلدة حرير ذكرها ياقوت الحموي في معجمه (ان صاحب المقامات الحريرية "القاسم بن علي البصري" قد ولد فيها وقرأ المقامات في رحابها وله فيها أرضا تضم أكثر من ثمان عشرة ألف نخلة!، وان في ثراها مرقد نبي اليهود "عزير". ولعل الحموي يقصد النبي عزرا الذي جاء الى بابل مع السبي البابلي.

وكان اهالي مدينة فرات ميشان قد رحلوا الى جنوب العراق وتركزوا في مدينة كشكر والبلدات التي حولها وكانت مدينة كشكر أكبر مدينة عراقية بعد طيسفون، كما رحلوا الى مدينة حرتا أو الحيرة التي أنشأوها قرب الكوفة على الأرجح بعد سقوط مملكة ميشان في مفتتح القرن الثالث الميلادي. وتعد كشكر أقدم مدينة مسيحية في العراق، وكان سكانها يتحدثون بالآرامية ثم بالسريانية حتى مفتتح القرن السابع للميلاد.

وميشان التي تحدثنا عنها هي غير محافظة ميسان الحالية التي تشمل مدية العمارة وبلدات اخرى في الجنوب الشرقي للعراق. ولعل اسم ميشان قد تصحف لدى بعض الكتاب العرب الى ميسان، وبذلك سميت المحافظة المذكورة واحيانا تطلق على دولة ميشان ايضا (٧).

المصادر

(1) الأحمد، سامي سعيد. تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة الى التحرير. البصرة: مركز دراسات الخليج، ١٩٨٥ "ص٣٥٩-٣٧٦".
(2) ذكر المؤلف المعروف طه باقر عن مملكة ميشان ما يلي: "وقد تدرجت في النمو والازدهار حتى غدت في العهد الفرثي التالي من الممالك المهمة وكان جل سكانها من الآراميين".. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "ص٦٠٠".
(3) الصالحي، واثق. "دولة ميسان" المورد مجلد ١٥ عدد٣ "١٩٨٦".
(4) البكر، منذر. "دولة ميسان" المورد مجلد ١٥ عدد٣ "١٩٨٦".
(5) ايشو عدناح، مطران البصرة. الديورة في مملكتي الفرس والعرب، نقله الى العربية "القس" بولس شيخو. الموصل: مطبعة النجم، ١٩٣٩ "ص١-١٠".
(6) الخطيب، ابو بكر احمد بن علي. مختصر كتاب تاريخ بغداد، تحقيق شاكر محمود وندى السعدي. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣ "ص٣٤٠".
(7) قزانجي، فؤاد يوسف. "خلفية تاريخية للعصر الفارسي- السرياني" مجلة بين النهرين. عدد١٣١-١٣٢ "٢٠٠٥"، الصفحات ٢٦٣-٢٨٠.